الفصل الثاني
الرب والربوبية

قال الأمير : ثانى هذه المصطلحات أيها الشيخ هو مصطلح «الرب »، ويوقفنا هذا المصطلح العظيم المهم على المعنى الكامل والأصيل للربوبية، وعلى مفهومها الصحيح الذى أهمل في دنيا الناس ، وسكت الكثير منكم ، وغض الطرف عن هذا التحريف والتزييف الذى لحقه ، وإنى اليوم أعرضه بين أيديكم ، إبراءًا للذمة ، وإقامة للحجة ، وبيانا للحق ، وإزالة للبس ، وإعذارا إلى الله ، وذلك على النحو الآتى :

التحقيق اللغوي : مادة كلمة الرب (الراء والباء المضعفة) ، ومعناها الأصلي الأساسى : التربية، ثم تتشعب عنه معاني التصرف والتعهد والاستصلاح والإتمام والتكميل، ومن ذلك كله تنشأ في الكلمة معاني العلو والرئاسة والتملك والسيادة، ودونك أمثلة لاستعمال الكلمة في لغة العرب بتلك المعاني المختلفة.

١ – التربية والتنشئة والإنماء : يقولون « ر ب الولد» : أي رباه حتى أدرك ، فالربيب هو الصبي الذي تربيه ، والربيبة الصبية . وكذلك تطلق الكلمتان على الطفل الذي يربى في بيت زوج أمه، و الربيبة أيضًا الحاضنة ، ويقال الرابة لامرأة الأب غير الأم، فإنها وإن لم تكن أم الولد، تقوم بتربيته وتنشئته ، و الراب كذلك زوج الأم .، المربب (أو) المربى هو الدواء الذي يختزن ويدخر ، ور ب يرب ربًا من باب نصر، معناه الإضافة والزيادة والإتمام، فيقولون ر ب النعم :أي زاد

في الإحسان وأمعن فيه.

٢ - الجمع والحشد والتهيئة : يقولون : فلان يرب الناس، أي يجمعهم أو يجتمع عليه الناس، ويسمون مكان جمعهم بالمرب (و) التربب هو الانضمام والتجمع.

٣- التعهد والاستصلاح والرعاية والكفالة : يقولون رب ضيعة أي تعهدها وراقب أمرها ، قال صفوان بن أمية لأبي سفيان : لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن، أي يكفلني ويجعلني تحت رعايته وعنايته .وقال علقمة بن عبدة :

وكنت امرءًا أفضت إليك ربابتي وقبلك ربتني فضيعت ربوب

أي انتهى إليك الآن أمر ربابتي وكفالتي بعد أن رباني قبلك ربوب فلم يتعهدوني، ولم يصلحوا شأني . ويقول الفرزدق :

كانوا كسالئة حمقاء إذ حقنت سلاءها في أديم غير مربوب

أي الأديم الذي لم يلين ولم يد بغ، ويقال فلان يربب صنعته عند فلا ن أي يشتغل عنده بصناعته، ويتمرن عليها ويكسب على يده المهارة فيها.

٤- العلاء والسيادة والرئاسة وتنفيذ الأمر والتصرف : يقولون قد رب فلان قومه : أي ساسهم ، وجعلهم ينقادون له ، وربيت القوم أي حكمتهم وسدتهم، ويقول لبيد بن ربيعة :

وأهلكن يومًا رب كندة وابنه ورب معد بين خبث وعرعر

والمراد برب كندة ههنا سيد كندة ورئيسهم ، وفي هذا المعنى يقول النابغة الذبياني :

تخب إلى نعمان حتى تناله فدى لك من ربٍ تليدي وطارفي

٥- التملك : قد جاء في الحديث أنه سأل النبي ﷺ رجلاً أرب غنم أم رب إبل؟

أي أمالك غنم أنت أم مالك ابل؟ وفي هذا المعنى يقال لصاحب البيت رب الدار، وصاحب الناقة رب الناقة ، ومالك الضيعة رب الضيعة ، وتأتي كلمة الرب بمعنى السيد أيضًا ، فتستعمل بمعنى ضد العبد أو الخادم.

هذا بيان ما يتشعب من كلمة الرب من المعانى .وقد أخطأوا لعمر الله حين حصروا هذه الكلمة في معنى المربي والمنشئ، ورددوا في تفسير الربوبية هذه الجملة « هو إنشاء الشيء حالا فحا لا إلى حد التمام » ، والحق أن ذلك إنما هو معنى واحد من معاني الكلمة المتعددة الواسعة ، وبإنعام النظر في سعة هذه الكلمة ، واستعراض معانيها المتشعبة يتبين أن كلمة الرب مشتملة على جميع ما يأتي بيانه من المعاني :

١- المربي الكفيل بقضاء الحاجات، والقائم بأمر التربية والتنشئة.

٢ - الكفيل والرقيب، والمتكفل بالتعهد وإصلاح الحال.

٣ - السيد الرئيس الذي يكون في قومه كالقطب يجتمعون حوله.

٤- السيد المطاع، والرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم، والمعترف له بالعلاء والسيادة، والمالك لصلاحيات التصرف.

٥ - الملك والسيد.

- ثم قال الأمير : هذا هو معنى كلمة « رب» في اللغة ، أما عن استعمال كلمة الرب في القرآن :

فقد جاءت بجميع ما ذكرناه آنفًا من معانيها . ففي بعض المواضع أريد بها معنى أو معنيان من تلك المعاني . وفي الأخرى أريد بها أكثر من ذلك ، وفي

الثالثة جاءت الكلمة مشتملة على المعاني الخمسة بأجمعها في آن واحد ، وها نحن نبين ذلك بأمثلة من آي الذكر الحكيم.

المعنى الأول (أى التربية)﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ [يوسف: ٢٣] ، لا يذهبن بأحد الظن أن يوسف عليه الصلاة والسلام أراد بكلمة«ربي» في الآية عزيز مصر ، كما ذهب إليه بعض المفسرين وإنما يرجع الضمير في « إنه» إلى الله الذي قد استعاذ به يوسف عليه السلام بقوله : «معاذ الله».

بالمعنى الثاني وباشتراك شيء من تصور المعنى الأول الكفيل والرقيب المصلح ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء:٧٧]، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل:٥٣] وغيرها .

بالمعنى الثالث « السيد والرئيس يجتمع عليه القوم » : ﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود:٣٤] ، ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ [سبأ:٢٦] ، ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام :٣٨].

بالمعنى الرابع وباشتراك بعض تصور المعنى الثالث » السيد المطاع ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣١] ، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:٦٤] ، والمراد بالأرباب في كلتا الآيتين الذين تتخذهم الأمم والطوائف هداتها ومرشديها على الإطلاق ، فتذعن لأمرهم ونهيهم، وتتبع شرعهم وقانونهم، وتؤمن بما يحلون وما يحرمون بغير أن يكون قد أنزل الله تعالى به من سلطان، وتحسبهم فوق ذلك أحقاء بأن يأمروا وينهوا من عند أنفسهم. ، وقوله ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾، ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا

﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۖ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف :٤١].

قد كرر يوسف عليه السلام في خطابه لأهل مصر في هذه الآيات تسمية عزيز مصر بكلمة ربهم، فذلك لأن أهل مصر بما كانوا يؤمنون بمكانته المركزية وبسلطته العليا ، ويعتقدون أنه مالك الأمر والنهي، فقد كان هو ربهم في واقع الأمر، وبخلاف ذلك لم يرد يوسف عليه السلام بكلمة الرب عندما تكلم بها بالنسبة لنفسه إلا الله تعالى فإنه لم يكن يعتقد بربوبية فرعون، بل الله وحده المسيطر القاهر ومالك الأمر والنهي .

بالمعنى الخامس « الملك السيد »: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش :٣].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢] ، وبذلك نجد القرآن قد استخدم « الرب» بمعانيها الخمس الواردة فى اللغة .

المشركون العرب :

قال الأمير : هذا عن استخدام القرآن لكلمة الرب بمعانيها اللغوية كلها ، ولنبحث الآن في المشركين العرب الذين بعث فيهم خاتم النبيين ﷺ ، والذين كانوا أول من خاطبهم القرآن، من أي نوع كان ضلالهم في باب الإلوهية والربوبية، هل كانوا يجهلون الله رب العالمين، أو كانوا ينكرون وجوده،؟ فبعث إليهم النبي ﷺ ليبث في قلوبهم الإيمان بوجود الذات الإلهية ، ! وهل كانوا لا يعتقدون الله عز و جل إلهًا للعالمين وربًا،؟ فأنزل الله القرآن ليقنعهم بإلوهيته وربوبيته، وهل كانوا يأبون عبادة الله والخضوع له؟ أو كانوا لا

يعتقدونه سميع الدعاء وقاضي الحاجة؟ وهل كانوا يزعمون أن اللات والعزى ومناة وهبل والآلهة الأخرى هي في الحقيقة فاطرة هذا الكون ومالكته والرازقة فيه والقائمة على تدبيره وإدارته؟ أو كانوا يؤمنون بأن آلهتهم تلك مرجع القانون ومصدر الهداية والإرشاد في شؤون المدنية والأخلاق؟

كل واحد من هذه الأسئلة إذا راجعنا فيه القرآن فإنه يجيب عليه بالنفي؛ ويبين لنا أن المشركين العرب لم يكونوا قائلين بوجود الله تعالى فحسب، بل كانوا يعتقدونه مع ذلك انه خالق هذا العالم كله – حتى آلهتهم – وأنه مالكه وربه الأعلى، وكانوا يذعنون له بالإلوهية والربوبية ، وكان الله هو الجناب الأعلى الأرفع الذي كانوا يدعونه ويبتهلون إليه في مآل الأمر عندما يمسهم الضر أو تصيبهم المصائب، ثم كانوا لا يمتنعون عن عبادته والخضوع له، ولم تكن عقيدتهم في آلهتهم وأصنامهم أنها قد خلقتهم وخلقت هذا الكون، وترزقهم جميعًا، ولا أنها تهديهم وترشدهم في شؤون حياتهم الخلقية والمدنية، فالآيات الآتية تشهد بما تقول :

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المؤمنون :٨٤].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[يونس :٢٢].

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧] ، ويروي القرآن عقائدهم في آلهتهم بعبارتهم أنفسهم

فيما يأتي : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ، ثم إنهم لم يكونوا يزعمون لآلهتهم شيئًا من مثل أنها تهديهم في شؤون حياتهم ، فالله تعالى يأمر رسوله ﷺ في سورة يونس : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [الآية : ٣٥]، فيرميهم سؤاله هذا بالسكات، ولا يجيب أحد منهم عليه بنعم أو أن اللات والعزى ومناة والآلهة الأخرى تهدينا سواء السبيل في العقيدة والعمل، وتعلمنا مبادئ العدالة والأمن والسلام في حياتنا الدنيا، وإننا نستمد من منبع علمها معرفة حقائق الكون الأساسية، فعند ذلك يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس:٣٥] ، ويبقى بعد هذه النصوص القرآنية أن نطلب جواب هذا السؤال : ماذا كان ضلالهم الحقيقي في باب الربوبية الذي بعث الله نبيه ﷺ نرده إلى الصواب، وأنزل كتابه المجيد ليخرجهم من ظلماته إلى نور الهداية؟ وإذا تأملنا القرآن للتحقيق في هذه المسألة، نقف في عقائدهم وأعمالهم كذلك على النوعين من الضلال اللذين مازالا يلازمان الأمم الضالة منذ القدم.

كانوا بجانب : يشركون بالله آلهة وأربابًا من دونه في الإلوهية والربوبية فيما فوق الطبيعة، ويعتقدون بأن الملائكة والنفوس الإنسانية المقدسة والسيارات السماوية – كل أولئك دخيلة بوجه من الوجوه في صلاحيات الحكم القائم فوق نظام العلل والأسباب .ولذلك لم يكونوا يرجعون إلى الله تعالى وحده في الدعاء والاستعانة وأداء شعائر العبودية، بل كانوا يرجعون كذلك فى تلك الأمور كلها إلى آلهتهم المصنوعة الملفقة، .كما كانوا بجانب آخر : يكادون لايتصورون في باب الربوبية المدنية والسياسية أن الله تعالى هو الرب بهذه المعاني أيضا فكانوا قد اتخذوا أئمتهم الدينيين ورؤساءهم وكبراء عشائرهم أربابًا بتلك المعاني، ومنهم كانوا يتلقون القوانين لحياتهم.

دعوة القرآن :

يقول الأمير : إن هذا البحث الذي قد خضنا غماره في الصفحات السابقة بصدد تصورات الأمم الضالة وعقائدها، ليكشف القناع عن حقيقة أن جميع الأمم التي قد وصمها القرآن بالظلم والضلال وفساد العقيدة من لدن أعرق العصور في القد م إلى زمن نزول القرآن، لم تكن أمة منها جاحدة بوجود الله تعالى، ولا كانت تنكر كون الله ربًا وإلهًا بالإطلاق .بل كان ضلالها الأصلي المشترك بين جميعها أنها كانت قد قسمت المعاني الخمسة لكلمة الرب التي قد حددناها في بداية هذا المبحث –مستشهدين باللغة والقرآن – قسمين متباينين :

فأما المعاني التي تدل على أن الرب هو الكفيل بتربية الخلق وتعهدهم وقضاء حاجتهم وحفظهم ورعايتهم بالطرق الخارجة عن النظام الطبيعي، فكانت لها عندهم دلالة أخرى مختلفة، وهم وإن كانوا لا يعتقدون إلا الله تعالى ربهم الأعلى بموجبها، إلا أنهم كانوا يشركون به في الربوبية الملائكة والجن والقوى الغيبية والنجوم السيارات والأنبياء والأولياء والأئمة الروحانيين .

وأما المعنى الذي يدل على أن الرب هو مالك الأمر والنهي وصاحب السلطة العليا، ومصدر الهداية والإرشاد، ومرجع القانون والتشريع، وحاكم الدولة والمملكة وقطب الاجتماع والمدنية، فكانت له عندهم دلالة أخرى متباينة وبموجب هذا المفهوم كانوا إما يعتقدون أن النفوس الإنسانية وحدهم ربًا من دون الله، وإما يستسلمون لربوبية تلك النفوس في شؤون الأخلاق والمدنية والسياسة مع كونهم يؤمنون إيمانًا نظريًا بأن الله هو الرب، هذا هو الضلال الذي مازالت تبعث لحسمه الرسل عليهم السلام من لدن فجر التاريخ، ولأجل ذلك بعث الله أخيرًا محمدًا ﷺ . وكانت دعوتهم جميعًا أن الرب بجميع معاني الكلمة واحد ليس غير، وهو الله تقدست أسماؤه .والربوبية ما كانت لتقبل التجزئة ولم يكن جزء من أجزائها ليرجع إلى أحد من دون الله بوجه من الوجوه،

وأن نظام هذا الكون مرتبط بأصله ومركزه وثيق الارتباط ، قد خلفه الله الواحد الأحد، ويحكمه الفرد الصمد، ويملك كل السلطة والصلاحيات فيه الإله الفّذ الموحد ، فلا يد لأحد غير الله في خلق هذا النظام ولا شريك مع الله في إدارته وتدبيره ولا قسيم له في ملكوته، .وبما أن الله تعالى هو مالك السلطة المركزية، فإنه هو وحده ربكم في دائرة ما فوق الطبيعة، وربكم في شؤون المدنية والسياسة والأخلاق، ومعبودكم ووجهة ركوعكم وسجودكم، ومرجع دعائكم وعماد توكلكم، والمتكفل بقضاء حاجاتكم، وكذلك هو الملك، ومالك الملك، وهو الشارع والمقنن، وهو الآمر والناهى وكل هاتين الدلالتين للربوبية اللتين قد فصلتم إحداهما عن الأخرى لجاهليتكم، هي في حقيقة الأمر قوام الإلوهية وعمادها وخاصة إلهية الإله .لذلك لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، كما لا يجوز أن يشرك مع ا لله أحد من خلقه باعتبار أيهما . وأما الأسلوب الذي يدعو به القرآن دعوته هذه فها هو ذا بعبارته وها هى الآيات التي تتحدث عن الرب والربوبية زاخرة في كتاب الله تعالى .

ثم قال الأمير : « فبقراءة هذه الآيات بالترتيب الذي سردناها به، يتبين للقارئ أن القرآن يجعل الربوبية مترادفة مع الحاكمية والملكية، ويصف لنا الرب بأنه الحاكم المطلق لهذا الكون ومالكه وآمره الوحيد لا شريك له، وبهذا الاعتبار هو ربنا ورب العالم بأجمعه ، ومربينا وقاضي حاجاتنا» .

وبهذا الاعتبار هو كفيلنا وحافظنا ووكلينا. وطاعته بهذا الاعتبار هي الأساس الفطري الصحيح الذي يقوم عليه بنيان حياتنا الاجتماعية على الوجه الصحيح المرضي، والصلة بشخصيته المركزية تسلك شتى الأفراد والجماعات في نظام الأمة. وبهذا الاعتبار هو حري بأن نعبده نحن وجميع خلائفه، ونطيعه ونقنت له. وبهذا الاعتبار هو مالكنا ومالك كل شيء وسيدنا وحاكمنا.

لقد كان العرب والشعوب الجاهلية في كل زمان أخطأوا – ولا يزالون يخطئون إلى هذا اليوم – بأنهم وزعوا هذا المفهوم الجامع الشامل للربوبية على خمسة أنواع من الربوبية، ثم ذهب بهم الظن والوهم أن تلك الأنواع المختلفة للربوبية قد ترجع إلى ذوات مختلفة ونفوس شتى، بل ذهبوا إلى أنها راجعة إليها بالفعل .فجاء القرآن فأثبت باستدلاله القوي المقنع أنه لا مجال أبدًا في هذا النظام المركزي لأن يكون أمر من أمور الربوبية راجعًا – في قليل أو كثير- إلى غير من بيده السلطة العليا، وأن مركزية هذا النظام نفسها هي الدليل البين على أن جميع أنواع الربوبية مختصة بالله الواحد الأحد الذي أعطى هذا النظام خلقه.

ولذلك فإن من يظن جزءًا من أجزاء الربوبية راجعًا إلى أحد من دون الله، أو يرجعه إليه، بأي وجه من الوجوه، وهو يعيش في هذا النظام، فإنه يحارب الحقيقة، ويصدف عن الواقع ويبغي على الحق، وبلقي بيديه إلى التهلكة والخسران بما يتعب نفسه في مقاومة الحق .....الخ

- أنهى الأمير حديثه ، وبلع ريقه ، و جعل ينظر إلى الشيخ في استعلاءقائلا : بعد هذا البيان اللغوى القرآنى لمعنى كلمة الرب ، والاستدلال عليه من تاريخ دعوة الرسل ، وبيان دعوة القرآن وكيفية تعامله مع هذا المصطلح لا أظنك تعترض أيها الشيخ ، وعلام تعترض وما هى إلا كلمات نورانية كما ترى ؟ إن القرآن يجعل الربوبية (مترادفة مع الحاكمية والملكية، ويصف لنا الرب بأنه الحاكم المطلق) .

- أطال الشيخ النظر إلى الأمير وأصغى إلى حلو كلامه ثم تبسم ابتسامة هادئة وقال : لابد أن تعلم أيها الأمير أننى ماجئت هنا لأعترض أو لأوافق ، لكننى جئت طلبا للحق لى ولغيرى ، لى ولك ، وليعلم المسلمون كافة أن الحق حبيب إلينا ، مقدم على رغباتنا ومرادات نفوسنا ، فالحق كما يقول الناس حبيب الله ، والمسلم الصادق هو من يحب ما أحبه الله ، أما عن كلامك حول مصطح الرب

والربوبية فاسمع منى ولاتعجل ، وخذ عنى ولاتغفل رعاك الله .

أولا : أشكر لك حسن عرضك لهذا المصطلح كما شكرتك في عرض ماقبله ، وحقا إن من البيان لسحرا .

ثانيا : لقد أصبت أيها الأمير في عرضك للمعنى اللغوى لكلمة الرب ، خاصة إنك رتبتها ترتيبا دقيقا بقولك « مادة كلمة الرب : (الراء والباء المضعفة) ومعناها الأصلي الأساسى :التربية، ثم تتشعب عنه معاني التصرف والتعهد والاستصلاح والإتمام والتكميل،.... ودونك أمثلة لاستعمال الكلمة في لغة العرب بتلك المعاني المختلفة.

١- **التربية والتنشئة والإنماء**: يقولون ر ب الولد أي رباه حتى أدرك ، فالربيب هو الصبي الذي تربيه ، والربيبة الصبية .....» ، فقد بينت أن هناك معنى أصليا أساسيا لكلمة الرب ، ثم هناك معان فرعية تترتب عليه ، وتتفرع من هذا المعنى الأصلى وذكرت من بينها الرئيس السيد صاحب السلطة والحكم ، وبذلك أراك قد فرقت كما يجب بين المعنى الأصلى والمعنى الفرعى ، وهذا حسن جميل منك .، كما أشكر لك وضعك المعنى الاصلى الأساسى لكلمة « رب» الذى هو بمعنى التربية « فى أول التعريفات ، بيانا لأهميته وتقديما للمعنى الأصلى على المعانى الفرعية لكلمة « رب » فى لغة العرب ، لكن كل هذه مقدمات ومعطيات للموضوع وليست نهايته ، والملاحظ أنك وقعت فى نفس الأخطاء التى بدرت منك فى تعاملك مع مصطلح «الإله» ، والتى سبق أن بيناها ووضحنا وجه الخطأ فيها، فقد وضعت المعنى الفرعى الاقتضائى موضع المعنى الأصلى وسويته به ، ثم استبدلت المعنى الفرعى بالمعنى الأصلى وأحللته محله ، ثم جعلت المعنى الأصلى معنى فرعيا تابعا بدلا من كونه أصلا متبوعا ، وبالتالى ترتب على كل ذلك انحراف فى أصل الغاية ، وتحول فى معنى الوسيلة الموصلة

إليها . واليك البيان أيها الأمير .

الخطأ الأول : تسويتك المعنى الفرعى التبعى أو الاقتضائى بالمعنى الأصلى الأساسى ، واصبح المعنى الاصلى كأحد معانى الكلمة الشاملة ، واتهمت من حصر معنى كلمة الرب فى التربية بالخطأ والقصور برغم كونه المعنى الأصلى والأساسى ، وذلك فيما نقلته عن المودودى أيضا من قوله « هذا بيان ما يتشعب من كلمة الرب من المعانى .وقد أخطئوا لعمر الله حين حصروا هذه الكلمة في معنى المربي والمنشئ، ورددوا في تفسير الربوبية هذه الجملة « هو إنشاء الشيء حالا فحالاً إلى حد التمام» ، والحق أن ذلك إنما هو معنى واحد من معاني الكلمة المتعددة الواسعة . وبإنعام النظر في سعة هذه الكلمة واستعراض معانيها المتشعبة يتبين أن كلمة الرب مشتملة على جميع ما يأتي بيانه من المعاني ثم ذكر المعانى الخمس للكلمة كما نقلتها عنه .

انظر إلى قوله « هذا معنى واحد من معانى الكلمة المتعددة الواسعة» ، لترى أنه اعتبره معنى كأى معنى من المعانى المتعدد للكلمة ، ولم يقل انه المعنى الأصلى ، نعم هى متعددة وواسعة لكنها ليست متساوية في الدرجة ولافى الحكم فشتان بين الأصل والفرع ، بين التابع والمتبوع ، هذا هو الخطأ الأول إن اعتبر الأستاذ المودودى المعنى السياسى السلطوى لكلمة رب وهو معنى اقتضائى تبعى ، اعتبره مثله مثل المعنى الأصلى ، ووضعهما بجوار بعضهما سواءا بسواء . يقول وحيد الدين في تفنيده لنظرية المودودى هذه : « فهذا أول نموذج للتحريف في شرح كلمة الرب ،أراد فيه المؤلف إثبات أن المعنى السياسى لكلمة الرب ليس مقتضى عمليا للمعنى الأصلى ، بل هو المعنى الأصلى الحقيقى لهذه الكلمة وحيثية كحيثية المعانى الأخرى ».

ولزيادة البيان أذكر لك ما قاله الأستاذ المودودى بعد سرده لدعوة الرسل إلى أممهم ،وبيانه كيف تعاملت الأمم مع مفهوم الربوبية، حيث يقول في وضوح

مسويا بين المعنى الاصلى للربوبية الذى هـو التربيـة والإصـلاح ، وبـين المعنـى الاقتضائى الذى هو السلطة والتشريع والحاكمية يقول مانصـه : « فبقـراءة هـذه الآيات بالترتيب الذي سـردناها بـه، يتبـين للقـارئ أن القـرآن يجعـل الربوبيـة مترادفة مع الحاكمية والملكية ، ويصف لنا الـرب بأنـه الحـاكم المطلـق لهـذا الكون ، ومالكه وآمره الوحيد لا شريك له . وبهذا الاعتبار هو ربنا ورب العـالم بأجمعه ، ومربينا وقاضي حاجاتنا ، وبهذا الاعتبار هو كفيلنا وحافظنـا ووكلينـا ، وطاعته بهذا الاعتبار هي الأساس الفطري الصحيح الذي يقوم عليه بنيان حياتنا الاجتماعية على الوجه الصحيح المرضي ، والصلة بشخصيته المركزية تسـلك شتى الأفراد والجماعات في نظام الأمة. وبهذا الاعتبار هو حري بأن نعبده نحن وجميع خلائفه، ونطيعه ونقنت له. وبهذا الاعتبار هو مالكنا ومالـك كـل شـيء وسيدنا وحاكمنا. .....» ، هكذا صارت الربوبية مترادفة مع الحاكمية والملكية . وأصبح الرب هو الحـاكم ، أرأيـت كيـف سـوى بوضـوح بـين المعنـى الأصـلى الأساسى ، والمعنى الفرعى الاقتضائى وجعلهما مترادفين.؟ بل يجعـل السـلطة والحكم قواما للإلوهيـة ويتحـدث عـن سـلطة الله تعـالى الكونيـة وعـن سـلطته التشريعية والقانونيـة والمدنيـة والاجتماعيـة - السياسـية - يقـول : « ... وكـل هاتين الدلالتين للربوبية اللتين قد فصلتم إحداهما عن الأخرى لجاهليتكم، هي في حقيقة الأمر قوام الإلوهية وعمادها وخاصـة إلهيـة الإلـه . لـذلك لا يمكـن فصل إحداهما عن الأخرى، كما لايجوز أن يشرك مع الله أحد من خلقه باعتبار أيهما ....» ، انظر إلى قوله «هى قوام الإلوهية وعمادها » أنه لم يسو بـين المعنيـين فقط ، وإنما جعل الحاكمية والسلطة السياسية هى قوام الإلوهية وعمادهـا ، لقـد انتقل بهذه العبارة نقلة جديدة فبدلا من أنه كان يسوى بين المعنيين نراه الآن يقـدم المعنى الاقتضائى على أنـه الجـوهر والعمـاد ، كمـا سـبق وذكـر عـن الحاكميـة والإلوهية أنهما متفقان جوهرا وروحا ، وأنه لافرق بينهما لامن حيث المعنـى ولا

من حيث الجوهر، وهذا هو:

الخطأ الثانى : الذى وقع فيه الرجل بإحلاله الحاكمية والسلطة السياسية محل الإلوهية والربوبية كما رأيت ، وقد سبق بيانه في موضوع الإلوهية ، ونحن لانشرك بالله في ربوبيته سبحانه بأى وجه من الوجوه لابالمعنى الأصلى ولا بالمعنى الاقتضائى التبعى ، وإنما فقط نفرق بين المعنى الأصلى ومقتضاه ، كما أننا نقر ونؤكد ونوجب الإيمان بربوبية الله الكونية وبحاكميته التشريعية ، ونلزم أنفسنا وندعوا غيرنا إلى ذلك لنطبق حاكميته السياسية ، أكرر أننا فقط نفرق بين المعنى الأصلى والمعنى الاقتضائى ومايترتب على كل منهما من أحكام وتصورات ، ونوضح مايحدث من انحراف إذا ماجرى خطأ في ترتيب المعانى ، أوجرى خلل في ضبط المفاهيم . .

الخطأ الثالث : اعتباره الربوبية تابعة للحاكمية وخادمة لها وأقتبس بيان ذلك من كلام الأستاذ المودودى نفسه فيقول : « ....أن القرآن يجعل الربوبية مترادفة مع الحاكمية والملكية ويصف لنا الرب بأنه الحاكم المطلق لهذا الكون ، ومالكه وآمره الوحيد لا شريك له« ثم يعقب قائلا » وبهذا الاعتبار هو ربنا ورب العالم بأجمعه ومربينا وقاضي حاجاتنا. وبهذا الاعتبار هو كفيلنا وحافظنا ووكلينا. وطاعته بهذا الاعتبار هي الأساس الفطري الصحيح الذي يقوم عليه بنيان حياتنا الاجتماعية على الوجه الصحيح المرضي.....» انظر إليه بعد جعله الربوبية مترادفة للحاكمية والملكية يقرر نقلة أبعد فيقول « وبهذا الاعتبار هو ربنا ورب العالم بأجمعه ومربينا وقاضى حاجاتنا .....» ، وبالتالى فقد جعله مربيا بمقتضى أنه مالك وذو سلطة وحاكمية، فجعل الربوبية ومعناها الأصلى التربية إنما هما مقتضى كونه حاكما مع أن العكس هو الصحيح، فهو يحكمنا بمقتضى انه ربنا ، وليس هو ربنا لأنه يحكمنا ، وللتوضيح الصورة نسألك أيها الأمير هل الله تعالى مالكنا وحاكمنا لأنه ربنا ؟ أم أنه ربنا لأنه حاكمنا ؟ الإجابة المنطقية

الصحيحة أنه حكمنا وملكنا لأنه ربنا وليس العكس ، فالربوبية هى الأصل والملك والحكم تبع لها ، ومقتضى من مقتضياتها، وليس الملك والحكم هما مقتضاها الوحيد، بل هناك مقتضيات أخرى لربوبيته غير الملك والحكم ، .بل قد ذكر المودودى ماهو أوضح من ذلك فقال في مصطلحاته الأربعة » .وبما أن الله تعالى هو مالك السلطة المركزية، فإنه هو وحده ربكم في دائرة ما فوق الطبيعة، وربكم في شؤون المدنية والسياسة والأخلاق، ومعبودكم ووجهة ركوعكم وسجودكم، ومرجع دعائكم وعماد توكلكم، والمتكفل بقضاء حاجاتكم، وكذلك هو الملك، ومالك الملك، وهو الشارع والمقنن، وهو الآمر والناهى . وكل هاتين الدلالتين للربوبية اللتين قد فصلتم إحداهما عن الأخرى لجاهليتكم، هي في حقيقة الأمر قوام الإلوهية وعمادها وخاصة إلهية الإله » ، فقد فرع في هذا القول ربوبية مافوق الطبيعة عن السلطة ، وفرع ربوبية التشريع والحكم عن السلطة وفرع ربوبية الركوع والسجود عن السلطة ، فالسلطة والحكم عنده هما الأصل لكل شيء ، وليست الربوبية ولا الإلهية كما ترى من كلامه

لقد جعل الأستاذ المودودى الملك والسلطة والحاكمية هى الأساس والأصل ، وكل ما عداها جعله تبعا ومقتضى لها ، ووسيلة لتحقيقها ، فجعل السطة هى الغاية وجعل كل تشريعات وأوامر الدين سواءا في أصوله أو في فروعه جعلها كلها وسائل لتحقيق الحاكمية والسلطة بما في ذلك العبادات والأخلاق ، بل حتى حاكمية ما وراء الطبيعة جعلها خادمة للسلطة، وفى سبيل إثبات ذلك ذهب يستدل بكافة الوسائل والأدوات ليبرهن على صحة ماذهب إليه لدرجة أننا نراه يستدل على المسألة بآيات لم يرد فيها اللفظ محل الكلام مطلقا ، ولست أدرى كيف يستدل على معنى كلمة بدليل لم ترد هى فيه أصلا؟ ولئن ذكرنا مثالا على ذلك في الحديث عن الإلوهية فلن نعدم مثالا أو أكثر استدل به الرجل في مجال الربوبية ومن ذلك قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام « ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الشعراء:١٠٧] ، فهل ورد في الآية كلمة رب ؟ أو كلمة حكم ؟ او كلمة ملك أو سلطة ؟ لم يرد شيء من ذلك على الإطلاق كما ترى ، لكنه يستدل بها . كما استدل بقوله تعالى في سورة الروم ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ ، و أنقل لك الآية وماقبلها ومابعدها لترى أن كلمة الرب أو الربوبية لم ترد فيها إطلاقا ، فكيف يستدل عليها بالآيات التى لم تذكرها وإن كانت ذكرت معنى الخلق والرزق الذى هو مقتضى الربوبية وليس معناها الأصلى كما اتفقنا ؟

تقول الآيات : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾....وإليك ما ذكره الإمام ابن عاشور حول الآيات ليتضح لك معناها وتتبين أن الأستاذ المودودى قد أبعد النجعة ، يقول ابن عاشور: « أتبع ذكر إقامة الله تعالى السماوات والأرض بالتذكير بأن كل العقلاء في السماوات والأرض عبيد لله تعالى فيكون من مكملات ما تضمنته جملة ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم:٢٥] ، فعطفت عليها هذه الجملة زيادة لبيان معنى إقامته السماءَ والأرض. فاللام في قوله: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لام الملك ، واللام في قوله ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ لام التقوية ، أي تقوية

تعدية العامل إلى معموله لضعف العامل بكونه فرعاً في العَمل ، وبتأخيره عن معموله . وعليه تكون (مَنْ) صادقة على العقلاء كما هو الغالب في استعمالها . وظاهر معنى القنوت امتثال الأمر ، فيجوز أن يكون المعنى : أنهم منقادون لأمره . وإذ قد كان في العقلاء عصاة كثيرون تعيَّن تأويل القنوت باستعماله في الامتثال لأمر التكوين ، أو في الشهادة لله بالوحدانية بدلالة الحال ، وهذا هو المقصود هنا لأن هذا الكلام أورد بعد ذكر الآيات الستّ إيرادَ الفذلكة بإثبات الوحدانية فلا يحمل قنوتهم على امتثالهم لما يأمرهم الله به من أمر التكليف مباشرة أو بواسطة لأن المخلوقات متفاوتون في الامتثال للتكليف؛ فالشيطان أمره الله مباشرة بالسجود لآدم فلم يمتثل ، وآدم أمره الله مباشرة أن لا يأكل من الشجرة فأكل منها؛ إلا أن ذلك قبل ابتداء التكليف.

والمخلوقات السماوية ممتثلون لأمره ساعون في مرضاته قال تعالى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٧] ، وأما المخلوقات الأرضية العقلاء فهم مخلوقون للطاعة قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، فزيغ الزائغين عن طاعة الله تعالى انحراف منهم عن الفطرة التي فطروا عليها ، وهم في انحرافهم متفاوتون؛ فالضالّون الذين أشركوا بالله فجعلوا له أنداداً ، والعصاة الذين لم يخرجوا عن توحيده ، ولكنهم ربما خالفوا بعض أوامره قليلاً أو كثيراً ، هم في ذلك آخذون بجانب من الإباق متفاوتون فيه . فجملة ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم: ٢٥] ، ويجوز أن تكون جملة ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ تكملة لجملة﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[الروم:٢٥] ، على معنى : وله يومئذ من في السموات والأرض كل له قانتون ، فالقنوت بمعنى الامتثال الواقع في ذلك اليوم وهو امتثال الخضوع لأن امتثال التكليف قد انقضى

بانقضاء الدنيا ، أي لا يسعهم إلا الخضوع فيها يـأمر الله بـه مـن شـأنهم ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، فتكون الجملـة معطوفـة على جملة ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥].... انتهى أيـن السلطة التى جعل الأستاذ المودودى الربوبيـة تابعـة وخادمـة لهـا ؟ لقـد ذكـرت السلطة والقدرة كآية تدل على ربوبيته فهى خادمة للربوبية وليست سـيدة وحاكمـة عليها . ثم استشهد الأستاذ المودودى الذى نقلت عنه كلامه أيها الأمير بعدة آيات أخر لكنها فى معظمها لاتختلف كثيرا عما قلناه فهل وعيت ؟

ثم ختم الشيخ كلامه بقوله : ومما سبق يتبـين لنـا أيهـا الأميـر : أ ن العـرب لم يقولوا بأن الربوبية فى معناها الأول هى الحاكمية ، ولم يقولوا كذلك هى السلطة ، ولم يقل القرآن أن المعنى الأول للربوبية هو السلطة ولا الحاكميـة ، لكـنهم قـالوا الرب هو المربى ، والربوبية هى التربية ، ثم يتفـرع عنهـا معـان أخـر ومقتضـيات أخرى من بينها السلطة والحاكميـة كمـا ذكرنـا واستعرضـنا لغـة العـرب وآيـات القرآن، وهاهو الدكتور محمد أحمد عبد القادر ينقـل عـن علمـاء وأئمـة الإسـلام فيقول «قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله، من العبادة وغيرها» وقال محمد صـديق حسـن : « فـالرب مصدر رب يربُّ ربًّا فهو رابٌّ، فمعنى قوله: رب العالمين: أي رابّهم، وهو الـرب الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفل لهم من خلـق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا» أ.هـ.ويقول ابن القيم رحمه الله عند تفسير قوله تعـالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾ وقـــدم الربوبيـــة لعمومها وشمولها لكل مربوب ، وأخّر الإلهية لخصوصها؛ لأنه سبحانه إنمـا هـو إلهُ مَنْ عبده وحده واتخذه دون غيره إلهًا، فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهـه، وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه، ولكن المشرك ترك إلهـه الحـق واتخـذ إلهًـا غيـره باطلًا ، ووسّط صفة الملك بين الربوبية والإلهية؛ لأن الملك هو المتصرف بقولـه

وأمره، فهو المطاع إذا أمر، وملكه لهم تابع لخلقه إياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها، فهو الرب الملك الحق، الإله الحق، خلقهم بربوبيته وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته. فتأمل هذه الجلالة، وهذ العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن سياق ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾.هكذا يقول العلماء والمفسرون ، فأين الحكم والسلطة بمعنى الربوبية وجوهرها أيها الأمير ؟ اللهم لاوجود لذلك إلا فى مخيلتك وتنظيرك الذى يحتاج إلى إعادة تنظير .